

ابن زريق

(بعد ان خرج ابن زريق من بغداد الى الاندلس وجدوا زوجته ميتة وتحت راسها هذه القصيدة)

سلبت منه الهنا من ذا سيرجعه؟
ثوب الزفاف وفي الجناح اصبعه
بحر التهاني وليل الأانس مرتعه
وانت توكله للدهر يوقعه
كشفت عرضي، فقل لي كيف امنعه؟
وحسبه انه الله مرجعه
ان الرسول دعا للعلم يرفعه
لقلت: امرٌ كتاب الله يشرعه
يهون عيش الفتى إن هان مطعمه
واشرف الرزق ما بالجهد تجمعه

يومي دعاء وليلي الشوك مضجعه
أبقيه في القلب مهما شطّ موقعه
وهاجس البين يُضنيني ويوجعه
لكن للرزق رباً وهو يُوسعه
إلا ذكرت له ما ليس يُقنعه
أني اودّع عمري لا اودّعه
من كلّ مال الى زندي يدفعه
الدّ من خبز عيسى اذ يوزّعه
والموت اقرب ما يُخشى تَوَقَّعه
تردّ للعمر نُسغاً جفّ منبّعه

وأطيب الرزق في عينيه أسرعه
دُرّ الأمانى بعيداً ثمّ يصّره
وفي دروب النوى لا أذنّ تسمعه
يدّ الولاة بما للشعر تصنعه
وليس يجزي الذي بالحقّ يصدّعه
أعزّ من وطن غالٍ تُضيّعه
بعض الفئات وبعض القوت يُشبعه
يكفيك إن رُحت باسم الله تزرعه
فكيف تهجره عمدًا وتخلّعه؟
خُسراً على غربة كالسمّ تجرعه

أضعتُ أمري فمن إلاك يُجمعه؟

يشكو الى الله مُضنى القلب مُوجّعه
تركته غارقاً في العرس، زينته
كالطبي يرقص زهواً مُقمرًا ثملاً
على يدك رأى دنياه آمنة
يا سائلي أن اصون العرض غيّبه
لو سرت في الجيش قلت: الفتح غايته
او كنت للعلم تسعى قلت: حجّته
او كنت تبغي صلاحاً في الورى وهدي
لكن الى السؤل ترميني بقافية
أولى بشعرك من أولاك مُهجّته

يا حادي العيس خفف وقع غربته
رفيق دربي الذي تصفو مودّته
ضاقت به الأرض، اني لست اعذله،
لو كان باب النوى رزقاً لأوسعه
ما عاد في كتب الأمثال من مثل
يريد مني سكوئاً وهو يعرفني
وان موتي على زنديه أكرم لي
وان كسرة خبز في معيته
يريد مني سكوئاً والمدى ظلم
يا حادي العيس ردّ الركب علّ يدّاً

يا ناقلا عن ربوع الكرخ خطوته
كالنمل يحمله طيش الجناح الى
في الكرخ صوتك يلقي ردّ سامعه
والأهل كالملاح لا تُغنّيك عن يدهم
وصاحب الجاه يجزي من يمالقه
يا خائب الرأي ما في الأرض ناحية
إن تغنّ نفس الفتى فالبطن يُصلّحه
هنا الفراتان، فيضُ الخصب بينهما
وهذه الأرض كنز انت مالّكه
يا شاري الوعد اخشى ان يكون غدّاً

يا عالم الغيب لا أشكو الى أحد

فصار همس سؤالي اليوم يُجزعه
أنوء بالحمل، لكن لست أرفعه
وجه ابن عمي فقل لي أين موضعه
يعود لي سالمًا والسعدُ يتبعه؟
وبعض أطفك يُبقِيها ويُطلعه
الى ترابي وأدعو لا أشيعه
بما أعاني من الويلات أضلعه
كأن دمعي الذي أخفيه أدمعه
ولا لوى وجهه عمّن يُشفعه

قد كان قلبي دليلي يومَ أسأله
اليك أشكو فقد أمسيت عاجزاً
يا عالم الغيب أضناني الحنين الى
قل لي وهل يا ترى أحظى برؤيته
أخشى على العين نعمي قبل فرحتها
أصون عهدي له حتى يُشيعني
يا عالم الغيب ضاق الصدر واحترقت
ورق لي الصبر فيما عشت واجدةً
ما كلف الله نفساً فوق طاقتها

17.6.2009

جريس ديبات – كفر كنا- قانا الجليل